N° 20/Juin 2019
ISSN : 1112-6205

ALMICHMIL

Revue semestrielle scientifique dirée d'un comité de lecture,
édirée par laboratoire Traitement Automatique
de la langue Arabe et les études inter disciplines de la langue arabe
Université de Tlemcen -Algérie

العدد 20 / جوان 2019
مجلة المشعل
ISSN : 1112-6205

العدد العشرون (20)/جوان 2019
ISSN : 1112-6205

المشعل

مجلة علمية محكمة تعنى بالبحوث اللسانية واللسانيات التطبيقية
والدراسات البينية للغة العربية.
تصدر عن مخبر المعالجة الآلية للغة العربية
جامعة تلمسان – الجزائر.

المشعل

مجلة علمية محكمة تعنى بالبحوث اللسانية واللسانيات التطبيقية
والدراسات البينية للغة العربية.
تصدر عن مخبر المعالجة الآلية للغة العربية
جامعة تلمسان – الجزائر.

العدد العشرون (20)/جوان 2019
ISSN : 1112-6205

مجلة المشعل

دورية علمية محكمة تصدر عن:

مخبر المعالجة الآلية للغة العربية

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان.

تعنى بالبحوث اللسانية واللسانيات التطبيقية والدراسات البينية للغة العربية.

العدد 20 / جوان 2019

ISSN: 1112-6205

مدير المجلة:

أ.د/ سيدي محمد غيثري

هيئة التحرير:

د/ عبد القادر بوشيبة.....رئيس التحرير.

د/الطاهر قطبي.....المدقق اللغوي.

د/سعيد بن عامر.....مدقق اللغة الأجنبية.

د/إبراهيم مناد.....عضوا.

أ/حنيفة بوزار.....أمينة تحرير المجلة.

الهيئة العلمية الاستشارية:

أ.د/ عمر ديدوح.....تلمسان/الجزائر.

أ.د/ سيدي محمد غيثري.....تلمسان/الجزائر.

أ.د/ عبد القادر سلامي.....تلمسان/الجزائر.

أ.د/ طاهر بوغازي.....تلمسان/الجزائر.

أ.د/ عبد المجيد عيساني.....ورقلة/الجزائر.

أ.د/إدريس حمروش.....قسنطينة/الجزائر.

أ.د/رشيد بلحبيب.....الدوحة/قطر.

.د/محمد خواجة الكوسوفي.....الدوحة/قطر.

أ.د/ وليد العناتي.....البتراء/الأردن.

أ.د/ نجيب علي عبد الله السويدي.....صنعاء/اليمن.

أ.د/ ناصر الدين أبو خضير.....بير زيت/القدس-فلسطين.

د/ تواتي بن تواتي.....الأغواط/الجزائر.

د/ عبد الحكيم والي دادة.....تلمسان/الجزائر.

د/مسعود دادون.....الأغواط/الجزائر.

د/خيرة قصري.....بجاية/الجزائر.

د/ محمد بلعيدوني.....تلمسان/الجزائر.

محتويات العدد الـ 20

عنوان المقال	صاحبه	الصفحة
افتتاحية العدد (20)	مدير المجلة: سيدي محمد غيثري.	07
الاحتكاك بين اللغة العربية واللهجات الأمازيغية في الجزائر وآثاره على مختلف المستويات اللغوية (اللهجة القبائلية أنموذجا).	سمير براهم جامعة محمد بوضياف المسيلة / الجزائر.	09
الاستبدال والسبك المعجمي في صياغة القانون القطري	تهاني فندي الشمري جامعة قطر.	27
أصول مصطلح التناص في البحث البلاغي النقدي	بومناني صفية جامعة تلمسان/ الجزائر.	51
بعض صور الاقتصاد المورفونولوجي في معجم العربية – دراسة في إطار "البرنامج التوليدي (MP)" –	أحمد طيبي جامعة الدكتور طاهر مولاي بسعيدة / الجزائر.	59
الترجمة الآلية و أثرها في التنمية السياحية – ترجمة بعض الطبونيمات السياحية بتلمسان آليا من العربية إلى الانجليزية أنموذجا –	د. سعيد بن عامر المركز الجامعي- مغنية- تلمسان/ الجزائر.	73
التعدد اللغوي في الجزائر ايجابياته و سلبياته	د.كرمة الشريف جامعة تلمسان/ الجزائر.	87
التيسير المعجمي لدى اللغويين المغاربة – مصنفاته ونماذجه –	د. محمد حاج هني / د. جميلة روقاب جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف/ الجزائر.	99
علاقة أساليب التفكير بأساليب التعلم لدى طلبة الجامعة	مزيان بشرى جامعة وهران 2/ الجزائر.	117
القياس عند ابن جني من خلال كتاب "الخصائص"	رضى العموري جامعة محمد الأول، وجدة/المملكة المغربية.	147
مصطلح الحذف في التركيب الاسمي ودلالاته في سورة آل عمران.	د. حمزة دحماني المركز الجامعي- مغنية- تلمسان/ الجزائر.	157
منهج ابن تيمية في العقيدة ومواقف علماء عصره منه	د. محمد الرزقي جامعة الزيتونة/ تونس.	173

الاحتكاك بين اللغة العربية واللهجات الأمازيغية في الجزائر وآثاره على مختلف المستويات اللغوية (اللهجة القبائلية أنموذجا).

سمير براهم
جامعة محمد بوضياف المسيلة / الجزائر.

ملخّص البحث:

تعتبر ظاهرة الاحتكاك اللغوي ظاهرة طبيعية تعرفها كل اللغات الحية في العالم، وهي في الغالب تواكب الاحتكاك الذي عرفته الشعوب بفعل الفتوحات والغزوات والهجرات السكانية منذ مراحل زمنية موغلة في القدم. وقد كانت منطقة شمال إفريقيا بفضل موقعها الجغرافي المتميز المتاخم لقارات إفريقيا وأوربا وآسيا مكانا مثاليا للالتقاء والتلاقح بين حضارات مختلفة ومتباينة من حيث اللغات: حيث تلتقي اللغات الفينيقية والعربية واللغة الليبية البائدة التي تمخضت عن اللهجات الأمازيغية المعاصرة، فضلا على العبرية والتركية، بالإضافة إلى اللغات اللاتينية المستعملة في الضفة الجنوبية للبحر المتوسط: على غرار الفرنسية والإيطالية والإسبانية... ورغم أن اللهجات الأمازيغية حافظت على آثار واضحة للاحتكاك اللغوي مع كل اللغات السالفة الذكر، خاصة في المجال المعجمي إلا أن احتكاكها باللغة العربية ترتب عنه آثارا شملت المستويات الفونولوجية والصرفية -التركيبية، فضلا عن الجانب المعجمي .

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية -اللهجات الأمازيغية -احتكاك -المستويات اللغوية.

Abstract:

The phenomenon of linguistic friction is a natural phenomenon known to all the living languages of the world and is associated with the friction that peoples have known by virtue of conquests, invasions and population migrations since ancient times. Due to its geographical location close to the continents of Africa, Europe and Asia, North Africa has been the ideal place to meet and exchange different cultures and languages, where Phoenician, Arabic, Libyan languages have met, contemporary Amazigh dialects, Hebrew and Turkish, as well as Latin languages spoken in the southern bank of the Mediterranean, such as French, Italian and Spanish. Although the Amazigh dialects bear clear effects for all the above languages, especially in the field of the vocabulary, its Arabic language have effects that include the phonological and morphological levels as well as the aspect of the vocabulary.

Keywords:Arabic-Amazigh dialects- friction- linguistic levels.

مقدمة:

عرفت اللغة العربية عصرها الذهبي مع التوسع الذي صاحب الفتوحات الإسلامية الهادفة إلى نشر تعاليم الدين الإسلامي السمح إلى مختلف أصقاع الأرض. وقد احتكت اللغة العربية خلال تلك المرحلة بمئات اللغات واللهجات عبر قارات العالم القديم المتكون من إفريقيا وأوراسيا. نجم عن هذا الاحتكاك آثارا مختلفة على مستويات متعددة.

وقد انعكس تسامح الدين الإسلامي على اللغة العربية التي رغم قدرتها على إلغاء اللغات واللهجات الأخرى بحكم وأنها لغة القرآن الكريم الذي أنزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضلا عن اقتناع المسلمين بالعربية لغة تسمو فوق غيرها من اللغات. والدليل على ذلك التنوع اللغوي السائد في سائر بلاد المسلمين. لكن وجود التنوع اللغوي لا يعني عدم الاحتكاك بعضها ببعض. وبما أن الناس بحاجة إلى الاتصال بعضهم ببعض، لابد أن تتلاقى لغاتهم ولهجاتهم، مما يترتب عن ذلك من آثار لغوية تطرأ على مختلف المستويات، معجمية كانت أو صوتية، بل حتى تركيبية في بعض الأحيان.

إن ما نقترحه في هذا المقال يتجاوز دراسة الاحتكاك بين اللغات ذات تقاليد الكتابية عريقة على غرار الفارسية أو التركية أو حتى اللغة الأسبانية الحديثة، سليلة اللغة الكستلانية، وتحاول دراسة نتائج احتكاك لهجات أمازيغية شفاهية سريعة التغير والتطور والتي تفاعلت قبل وصول اللغة العربية إلى شمال إفريقيا.

1) اللهجات الأمازيغية:

يزيد عدد اللهجات المستعملة في منطقة شمال إفريقيا عن أربع وعشرين لهجة وتنوعا لهجيا، تختلف عن بعضها البعض، ويصعب تحقيق الفهم المتبادل بين مستعمليها، وهي تعود في أصلها إلى اللغة الليبية القديمة وتعد الدليل الحي على وجود هذه اللغة المندثرة من آلاف السنين. ويجمع اللسانيون على قرابتها اللغوية بالمصرية القديمة وكذا اللغات الكوشيتية وهي كلها منضوية تحت أسرة اللغات السامية – الحامية.

تشمل المنطقة الناطقة بالأمازيغية في الوقت الراهن نحو عشرة من الدول الواقعة ضمن المجموعة التي تضم بلاد المغرب والصحراء وبلاد الساحل. من أهم المناطق الناطقة بالأمازيغية

بالجزائر: منطقتا القبائل والأوراس؛ وكذا الطوارق في الجنوب الكبير، فضلا عن بعض الجيوب اللغوية الصغيرة المتعددة وسط وغرب الجزائر على غرار شرشال(تيبازة)، عسلة(النعامة)، بني ستوس(تلمسان)، تيميمون(أدرار)...الخ.

2) احتكاك اللغة العربية باللهجات الأمازيغية:

كان المجال اللغوي البربري يمتد سابقا وبشكل متواصل من المحيط الأطلسي إلى مصر، ومن شمال بلاد المغرب إلى غاية القاسمي الصحراء، حتى إفريقيا السوداء. ولم يتمكن الاحتلال الفينيقي والغزو الروماني من تغيير الشخصية اللغوية للمنطقة، على الرغم من استمرارهما لعدة قرون. على النقيض من ذلك تمكنت الفتوحات الإسلامية التي استفادت من وقت أطول وخاصة من وسيلة انتشار أكثر قوة ممثلة في الدين من التوسع ببطء لكن بخطى ثابتة على حساب الفضاء البربري حتى حوله إلى كتل وتجمعات تخترقها مناطق ناطقة بالعربية كانت محدودة في البداية، ثم أصبحت كبيرة أكثر فأكثر إلى أن أصبحت اليوم تشكل الأغلبية.[1]

منذ أكثر من 14 قرنا واللهجات الأمازيغية في اتصال دائم مع اللغة العربية، ومن الواضح أن هذا الاتصال هو اتصال من نوع خاص، وهو أكثر وثاقة من المبادلات التي حدثت في مراحل سابقة (خاصة مع اليونيقية واللاتينية)، حيث يمكن اعتبارها اللغة الوافدة الوحيدة التي استطاعت أن ترسخ في بلاد المغرب.

إن وجود لغتين – أيّ لغتين – في مكان واحد لا يتصور معها أن تظل أي منهما بمنأى عن الأخرى، تقول لها لا مساس، و إنما لا بد من وقوع احتكاك بين اللغتين وتأثير من كلا الجانبين على الآخر، مهما تكن نتيجة الصراع، و إذا انتهى الصراع بموت إحدى اللغتين أو إقصائها من الميدان إلى منطقة محدودة، فلا يعني هذا أن اللغة المغلوبة قد ذهبت مع الرياح وطمست معالمها في مناطق نفوذ اللغة الغالبة، فهي لا بد وأن تترك قبل إخلائها الميدان معالم وتأثيرات قد تقل وقد تكثر، بحسب كل حالة على حدة وفي نفس الوقت فإن اللغة الغالبة لا تكتفي بإقصاء اللغة المغلوبة من طريقها و إنما لا بد لها في فترة الصراع من أن تترك آثارها ومعالمها على اللغة المغلوبة. أما تأثير العربية على البربرية فتأثير ضخم متعدد الجوانب.[2]

1 -الفتوحات الإسلامية:

يتميز تاريخ المغرب الإسلامي بعدد من الظواهر التي تميزه عن غيره من تواريخ بلاد الإسلام، اولها طول مدة الفتح، فقد استغرق إتمام الفتح، فتحا عاما شاملا، نحو سبعين سنة، كلها حروب عنيفة أبدى العرب والبربر خلالها من ضروب البسالة ما يجعل هذا الفتح في ذاته ملحمة شعبين: العربي المناضل المصرّ على إدخال الشعب البربري كله في الإسلام، والبربر الذين أبوا الخضوع للفاتحين العرب، وطال الصراع بين العرب والبربر حتى أخذ العرب والإسلام معا بتواسي البربر وأدخلوهم في الدين.[3]

فما إن يطّلع المرء على ردود الفعل التي كانت تصدر قبل الإسلام عن "البربر" كلما هوجموا في عقر دارهم، يكون قد أدرك الأسباب التي من أجلها لم تفتح "إفريقية الشمالية "كاملة إلا بعد عناء. كان من الطبيعي أن ينتظر الأمازيغيون إلى الفاتحين الأول نظرة المغزو للغازي. فلا غرابة والحالة تلك أن ينهض الأهالي لرد ما يرونه هجوما استعماريا من النوع الذي كان لهم به سابق عهد.[4]

وفي السياق ذاته، علّم كلا من الجانبين أن يحترم الآخر، ثم إن طول أمد الحرب كان كفيلا بأن يعرف البربر فضائل الإسلام، فأخذوا يسلمون رويدا رويدا على طول مراحل الفتح، وقرب النهاية كانت أعداد كبيرة جدا من البربر قد أسلمت وأخذت مكانها في جيوش الفتح، واشترك الاثنان معا في فتح الأندلس، وهذه الحقيقة تقودنا إلى واحدة من اظهر خصائص تاريخ المغرب الإسلامي، وهي أن فتحه وإسلامه كانا كاملين، فلم تبق في بلاده بعد تمام الفتح أي أقلية غير إسلامية.[5]

ويدخول المسلمون إلى شمال افريقيا لفتح بلدانها ونشر الإسلام تعايشت في حضن الدين الجديد اللغتان: العربية والأمازيغية، فأقبل الكثير من الأمازيغ على اللغة العربية لتعلمها والنهل من معارفها وعلومها وآدابها؛ كما هو حال ابن خلدون صاحب كتاب:"المقدمة في التاريخ"، و" كتاب العبر"، وهناك من كان يكتب مؤلفاته العربية بالأمازيغية؛ كما هو حال ابن تومرت صاحب كتاب:" أعزّ ما يطلب".

لا جدال في أن الفتوحات العربية في القرن السابع أسلمت بلاد المغرب بالكامل، لكن ذلك لا يعني البتة أنها عربتها، فالتعريب الكامل لم يتم في هذه المرحلة نظرا لعدة عوامل نورد منها خاصة العامل الديمغرافي؛ حيث أن عددا قليلا من الفاتحين استقروا مع عائلاتهم في بلاد المغرب مع بدايات الفتح في مقابل أغلبية ساحقة من البربر، و حتى هذا الاستقرار لم يتعد بعض المدن دون غيرها من البوادي و الصحاري.

ب – الهجرة الهلالية :

كان يجب انتظار زحف قبائل بنو هلال إلى بلاد المغرب حتى يفتح فصل جديد في تاريخ بلاد المغرب وتتسارع فيه التحولات في شتى الميادين، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهنا شهدت عملية التعريب انطلاقتها الفعلية لتشمل طول البلاد وعرضها، مستفيدة من عنصري العدد الكبير لأفراد هذه القبائل، فضلا على إسلام البربر الذي مهّد لتقبلهم لغة القرآن الكريم طواعية.

وتعود حيثيات هذه الغزوة إلى عهد الخليفة المستنصر الفاطمي؛ حيث وقعت الحروب بين قبائل بني هلال بعضها بعض... وأصبحوا مشكلة كبيرة للحكم الفاطمي في مصر. في ذلك الحين كان المعز بن باديس (في بلاد المغرب) قد أعلن استقلاله عن الفاطميين، وعاد إلى المذهب السني ودخل في طاعة الخليفة العباسي، وكانت الدولة الفاطمية عاجزة عن اتخاذ أي إجراء ضده. وهنا خطرت ببال الوزير الفاطمي أبي محمد الحسن بن علي اليازوري فكرة إقطاع بني هلال وبني سليم بلاد افريقية والمغرب وتنقلهم إليها، وكان رأيه أنه إذا تمكن الهلاليون من القضاء على دولة بني زيري، كان ذلك خيرا للدولة الفاطمية، فإن استقلال بني زيري وعودتهم إلى مذهب السنة كان يؤرق بال الخليفة الفاطمي و رجاله، فإذا حدث العكس وقضى بنو زيري على بني هلال كان هذا خلاصا من هؤلاء دون أن تخسر الدولة شيئا.[6]

3) العوامل المساهمة في تعريب بلاد المغرب:

قد حكم الصراع بين اللغتين العربية والأمازيغية مجموعة من العوامل التي تتحكم في صراع اللغات، والتي يمكن اعتبارها قوانين عامة يسري مفعولها على أي لغتين يحدث بينهما احتكاك، نتيجة وجودهما في مكان واحد.

وتكمن هذه العوامل فيما يلي:

أ- العامل السياسي.

ب- العامل الاقتصادي.

ج - العامل الديني.

د - العامل الديمغرافي.

هـ -عامل الهيبة أو التفوق الذاتي للغة.

و - درجة قرابة اللغتين المتصارعتين.

ز - المكانة اللغوية للأمازيغية عند مستعمليها قبل الفتح الإسلامي.

وقد لعبت كل هذه العوامل أو لتفل جلها دورا هاما في تعزيز مكانة اللغة العربية، سنحاول تسليط الضوء على بعضها، خاصة تلك التي نرى أن دورها كان حاسما في عملية تعريب المغرب التي تختلف عن عملية تعريب البلدان الأخرى التي فتحها المسلمون؛ على غرار بلاد فارس أو مصر في كثير من النقاط؛ نظرا لخصوصيات كل منطقة ومميزات سكانها ولغاتها المحلية.

وفي السياق نفسه، سنتجنب التطرق للعوامل السياسية والاقتصادية كونها تتشابه في كل البلاد المفتوحة من قبل العرب، مفضلين التركيز على تلك العوامل التي نرى أنها لعبت دورا أكبر في بلاد المغرب العربي وهي كالتالي:

ج -العامل الديني:

يعد عامل الإسلام من الناحية اللغوية ذا أهمية قصوى في أيّ بلد من البلاد التي فتحها المسلمون وقد كان من الواضح ارتباط تقدم اللغة العربية وانتشارها بتقدم الإسلام وانتشاره في كل الأقطار المفتوحة على السواء، وقد لعب هذا العامل في ليبيا و في سائر بلاد المغرب دورا

أقوى مما لعبه في بعض البلدان العربية الأخرى؛ كمصر مثلا، لعدم ارتباط أي من الأديان التي كانت في ليبيا (وفي بلاد المغرب عموما) إذ ذاك بلغة معينة يحميها و يعتبرها لغة طقوسه و شعائره.[7]

وبقيت اللغة الأمازيغية بعد إسلام البربر الذي حسن منذ القرن الأول، وعدل هؤلاء في الغالب عن الخط اللوبي القديم وكتبت بالحرف العربي، كتبت به تصانيفها الدينية الإسلامية، وشعرها وحكاياتها ونوادرها ودرس المسلمون هذه اللغة العجيبة وصنفوا كتبا في المقارنة بينها وبين العربية والعبرانية، وألفوا معاجم لها وللعربية معا، واعتنى أصحاب المعاجم النباتية من الغافقي إلى ابن الجزار إلى ابن بيطار، بإيراد التسميات البربرية للنباتات التي يصفونها، وبقيت هذه اللغة لغة البلاط في الأسر المالكة البربرية من صنهاجيين وحفصيين وحماديين وزناتيين ومرابطين وموحدين.[8]

د - العامل الديمغرافي:

ولعل العامل التي يلي الإسلام مباشرة من حيث الأهمية في قلب موازين القوى لصالح اللغة العربية تمثل في العامل الديمغرافي؛ حيث كان يجب انتظار دخول العرب الهلالية إلى بلاد المغرب، حتى يشهد هذا الأخير تغيرا دراماتيكيا من الناحية الديمغرافية؛ إذ ساهم الهلاليون بشكل كبير في تغيير المعطى السكاني، وبالتالي اللغوي لبلاد المغرب، ومن ثم تحقق أحد الشروط لتفوق لغة على لغة أخرى؛ ألا وهي وجود"جالية كبيرة العدد والنفوذ، تقيم بصفة دائمة في بلاد الشعوب التي غلبت لغتها، وتمتزج بأفراد هذا الشعب، ولا يعيش إطلاقا في عزلة عنه".[9]

ولنؤكد أهمية هذا العامل الديمغرافي، نعقد مقارنة بسيطة بين تعريب بلاد المغرب من جهة وتعريب بلاد فارس من جهة أخرى؛ حيث أن الفرس وإلى يومنا هذا يحافظون على استعمال اللغة الفارسية رغم كتابتهم لها بالخط العربي اللهم إلا إذا استثنينا إقليم الأهواز أو ما يعرف بـ" عربستان" ورغم تأثر لغتهم باللغة العربية لكنه لم يخرج البتة من إطار احتكاك اللغات ولم تهدد لغتهم قط بالاندثار وذلك مرده التفوق الديمغرافي للعنصر الفارسي على العنصر العربي ونفس الشيء ينطبق على الأتراك. في حين أن دخول العنصر الهلالي إلى

المغرب العربي تسبب في الخروج عن الإطار السالف الذكر بل وبلغت قوته لدرجة بات يهدد وجود اللغة الأمازيغية.

هـ – عامل التفوق الذاتي للغة:

كانت اللغة العربية خلال مرحلة الفتوحات الإسلامية لغة الحكام، ومن ناحية اخرى لغة الدين والقرآن والنبي وهي بالإضافة إلى هذا وذاك لغة حضارة عظيمة وثقافة تفوق حتما اللهجات الأمازيغية الشفوية البربرية إلى حد قد لا يسمح حتى بالمقارنة، كما لا يجب أن ننسى أن اللغة العربية كانت ذات تاريخ وأدب وثقافة من قبل ظهور الإسلام ثم انتشرت في كثير من انحاء العالم بعد مجيء الإسلام، وتمثلت ثقافات وحضارات كثيرة مما اعطاها ميزة ضخمة وقيمة كبيرة وبمرور الزمن ازداد هذا العامل قوة فما أن جاءت العربية إلى معركتها الحاسمة مع البربرية حتى كانت ثقافة عالية.

في حين أن مستعملي الأمازيغية لم يكونوا قد وصلوا إلى درجة من الحضارة تمكنهم من تثبيت لغتهم في شكل أدب ، فعلى الرغم مما عثر عليه من نقوش في منطقة الأهقار جنوب الجزائر تثبت كتابة اللغة البربرية لم يعرف عن الأمازيغ اي كتابات او مؤلفات ذات قيمة حتى عدة قرون من الظهور". وهنا تجدر الإشارة إلى أن كل الأدباء الأمازيغ في بلاد المغرب بدون استثناء إنما جنحوا للكتابة باللغات الرومانية واليونيقية و العربية.

و – درجة قرابة اللغتين المتصارعتين:

يمكننا أيضا ذكر، على سبيل الفرضية على الأقل، الدور المساعد الذي لعبته القرابة اللغوية– البعيدة ولكن غير قابلة للنقاش – الموجودة بين الأمازيغية والعربية. فالتشابهات والموازاة البنيوية الواضحة بين اللغتين تكون قد سهلت من عملية التعريب. ومن وجهة نظر لسانية محضة، كان من السهل على الأمازيغي الانتقال من لغته إلى العربية ولا الانتقال من الأمازيغية إلى اللاتينية. ونعرف أيضا بصفة عامة بأن اللاتينية لم تتمكن من أن تترسخ بشكل نهائي سوى على بقايا هندو –أوروبية، بينما العربية من جهتها لم تترسخ سوى في المناطق السامية أو السامية – الحامية. الأمر الذي يعطي نوعا من الصلابة لهذه الفرضية. حسب الدكتور سالم شاكر[10].

هذه التشابهات ليست مجرد تماثل معجمي، حيث أنها تمس بنية اللغات ذاتها، على غرار النظام الفعلي، والتصريف، وهيئة ثلاثية الجذور، على الرغم من أن اللغة الأمازيغية بتنوعاتها اللهجية تتضمن العديد من الجذور الثنائية، لكن هذه الهيئة مردها "تعرية " سموئية قوية بصفة خاصة في اللغة الأمازيغية الشيء الذي يجمع عليه كل المختصين. وعلى أية حال، فإن القرابة الملاحظة في داخل المجموعة الحامية – السامية بين اللغة البربرية، المصرية واللغات السامية تأتي لتؤكد المعطيات الأنثربولوجية التي تشهد هي بدورها لصالح أصل شرقي بعيد للأمازيغ.

وهذا ما ذهب إليه الباحث كمال نايث زراد الذي يحصر أوجه الشبه في ما يلي [11]:

1 – وجود اللواحق ناجمة عن تصريف الأفعال .

2 – ضمائر متصلة و كذا صفات الملكية .

3 – ضمائر منفصلة(مستقلة).

4 – الاشتقاق بواسطة سوابق .

5 – تركيبة الفعل.

ويأتي كل هذا تأكيدا لما ذهب إليه رمضان عبد التواب في كتابه المدخل إلى علم اللغة، عندما يتحدث عن شروط هيمنة لغة ما على لغة اخرى، والتي يورد من بينها أن "تكون اللغتان: الغالبة والمغلوبة، من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين متجاورتين".[12]

وفي سياق متصل، بقاء البونيقية وهي لغة سامية قريبة من العربية، يكون قد ساعد على ترسيخ اللغة العربية في تونس والشمال القسنطيني على الأقل. وتجدر الإشارة إلى انه على مستوى جزء من بلاد المغرب، لم تأخذ العربية مكان الأمازيغية، بل أخذت مكان البونيقية. وهذه الأطروحة قديمة ومطروحة بكل وضوح عند ستيفان قزال (Stéphane Gsell)، ودافع عنها إميل فيليكس غوتييه (Emile Félix Gautier) وأثارت، خلال الخمسينيات، جدالا واسعا – الذي لا يزال إلى يومنا هذا، ولكن بصفة غير علنية – بين "البونيقاويين" (Punicistes) و"المستمزغين"(Berbéristes). وقد قدّمت حجج جادة لصالح الأطروحتين، واستعملت المصادر الكلاسيكية، خاصة شهادة القديس أوغسطين، من طرف المدرستين.[13]

ز – المكانة اللغوية للأمازيغية عند مستعمليها قبل الفتح الإسلامي:

عندما عرفت بلاد الشمال الإفريقي اللغة العربية مع الفتوحات الإسلامية التي بدأت في منتصف القرن الأول الهجري على يد عقبة بن نافع الفهري، ثم موسى بن نصير في الربع الأخير من القرن الأول، لم تكن اللغة البربرية السائدة آنذاك في شمال إفريقيا قادرة على الوقوف أمام لغة العرب الفاتحين، فقد كانت لغة شفوية أكثر منها كتابية ولم تتخط في مستوى الكتابة المراحل الأولى من نشأتها.[14]

فعند فتح العرب بلاد المغرب سنة 27 هـ وجدوا اللغة البربرية منتشرة في الصحاري والجبال وبعض الجزر كما هو الحال بالنسبة لجزيرة جربة، وبشكل ضعيف أو شبه منعدم في المدن والقرى حيث كانت تزاحمها هناك اللغة اليونيقية التي تعتبر لغة فينيقية متأثرة باللهجات البربرية خاصة في كل من تونس ومنطقة قسنطينة حاليا فضلا على حضور ضعيف للغة اللاتينية.

في السياق نفسه، إن الفترة الزمنية التي ساد فيها الحكم العربي والتي كانت طويلة ومستمرة لدرجة مكنت للإسلام أن يرسخ وللغة العربية أن تسود. حيث أن من عوامل شروط سيادة لغة قوم في أي بلاد – حسب الدكتور رمضان عبد التواب –أن تبقى غلبة الغالب زمانا كافيا، مع استمرار قوته، لتتمكن اللغة الغالبة من بسط نفوذها، ويتم لها نصر حقيقي.[15]

4) مستويات تأثير اللغة العربية في اللهجات الأمازيغية :

لا بد للإشارة هنا أن اللهجات الأمازيغية عرفت، حسب البلدان والمناطق، تغيرات مهمة في وضعها العام نتيجة لمنافسة اللغة العربية لها منذ قرون عديدة وإدراجها في إطارات جيو – سياسية جد مختلفة. توجد الاختلافات اللهجية غالبا في مجالي المعجم والصوتيات، وتقل إلى حد كبير في مجال الخصائص الصرفية والنحوية.

أ – المستوى المعجمي:

يتفق فقهاء اللغة على أن أي لغة حية مهما بلغت من التطور لا يمكن أن تكتفي بما ورثته من كلمات وألفاظ. بل تفرض عليها الحاجات المستجدة والتحولات والتطورات المستمرة اللجوء إما إلى الإبداع و التوليد المعجمي أو الاقتراض من اللغات الأخرى مع تكييف ما تم اقتراضه

مع المعطيات السوائية الخاصة بها، فنسبة المسطحات التي تدخل معاجم اللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية على سبيل المثال لا الحصر تتجاوز العشرات في بعض الأحيان .

كانت اللغة الأمازيغية وعلى مدى آلاف السنين على اتصال دائم مع لغات ناقلة أخرى على غرار اليونيقية، اللاتينية، العربية، الفرنسية والإسبانية. من بين كل هذه اللغات، تعتبر اللغة العربية أكبر من أثر فيها خاصة في المستوى المعجمي.[16] فالأمازيغية في تفاعلها مع اللغة العربية، طيلة خمسة عشر قرنا قد امتصت عددا لا يحصى من الكلمات.

فاستنادا إلى دراسة تضمنتها كتاب سالم شاكر نصوص في اللسانيات البربرية، تضمنت قائمة تقديرية شملت 200 وحدة معجمية بسيطة من بينها 110 اسما، و80 فعلا، و10 أعدادا، تبين أن نسب الاقتراض من اللغة العربية هي كالتالي: القبائلية - 38 بالمائة . والشلحية - 25 بالمائة. والتارقية - 5 بالمائة.

لم يقتصر الاقتراض الكثيف للألفاظ العربية من قبل كل اللهجات الأمازيغية في شمال إفريقيا بدون استثناء، على المفاهيم الجديدة على غرار المفاهيم الدينية للإسلام، لكن تعداه ليشمل مجالات أخرى. ذكر منها سالم شاكر[17]:

- الحياة الروحية والدينية (حيث المفردات مقترضة بشكل مكثف من قبل اللهجات الثلاث).
- النشاطات الاقتصادية (المتعلقة بالتبادلات التجارية) ، الشيء الذي يفسر التعريب القديم للأرقام في اللهجة القبائلية و في أغلبية اللهجات " المتوسطية ".
- النشاطات الفكرية.
- المصطلحات الشاملة (المصطلحات التي يشمل معناها عدة كلمات).

يتساءل هنري باسي "هل اللغة البربرية هي لغة غير متبلورة، محكوم عليها بالخضوع لكل التأثيرات الأجنبية بدون أن تحرك ساكنا؟" لكنه يجيب بالنفي ويقول: "هنا تكمن أكثر سماتها إثارة للاهتمام؛ حيث ورغم أنها تمتص كلمات أجنبية بسخاء، مانحة لها الأفضلية لدرجة أنها تهمل ألفاظها الأكثر تداولا من أجل هذه الكلمات، تتبناها كألفاظها الخاصة من خلال إلباسها حلة بربرية."[18]

ويبدو هنا أن اللهجات الأمازيغية "كيفت" و"بربرت" أو "مزغت" بسهولة عددا من المفردات والأسوات الأجنبية، إذ نجد فيها كلمات لاتينية على غرار الروضا (Rota) وهي العجلة و الربيا (Ripa) وهو المنحدر وأورثو (Hortus) و هو البستان (35 % من القاموس القبائلي عبارة عن كلمات عربية) إلى جانب كلمات فرنسية و اسبانية ...الخ .[19]

وهكذا يؤكد محمد علي دبوز في كتابه تاريخ المغرب العربي أن اللغة العربية كانت لانتشارها، واسطباغ الألسن في الدولة الرستمية بها. قد فاضت على اللغة البربرية فمازجتها. ودخل فيها كثير من الألفاظ العربية. فترى لغة أهل المدن سيما العلماء إذا تكلموا بالبربرية ثلث ألفاظها عربية قد تبربرت.

لعل ذلك مردّه أن اللغة البربرية "سلسة مرنة، تقبل كل الألفاظ الدخيلة فتبربرها فتصبح جزءا منها ، فاللغة البربرية فيها كل العناصر التي تتركب منها العربية ففيها الاسم و الفعل و الحرف و فيها أساليب العربية من نظم و نثر و من حقيقة و مجاز.[20]

ويورد عالم اللسانيات ميشال كيتوت(Michel Quitout) امثلة عن الأسماء المذكرة المقترضة عن العربية و التي "مزّغت" بحيث يظهر عليها أحد حروف البدء [21]:

العربية	الأمازيغية
اللجام	أَلجَامْ
غدار	أغدار
جزار	أجزّارْ

أما الأسماء التي حافظت على شكلها العربي، لكنها في البربرية يصاحبها حرف " ل " قمري أو شمسي حسب كل حالة:

أمثلة:

العربية	الأمازيغية
اللوز	أَلوزْ
البطيخ	أَلبَطيخْ
السوق	أسوقْ

استرعت قضية اقتراض اللهجات الأمازيغية لمفردات عربية انتباه العاملين على تهيئة اللغة الأمازيغية، ومنهم من دعا صراحة إلى "تطهيرها" من كل ما يمت بصلة للغة العربية دون غيرها من اللغات، باعتبارها تشكّل خطرا على مستقبلها، متجاهلين في ذلك القوانين الطبيعية لتطور اللغات.

يؤكد السيد عبد النور عبد السلام في معجمه للغة الأمازيغية أن "اللسانيين ينبهوننا بوجود معايير مسموح بها في مجال الاقتراض حيث انه عندما تتجاوز نسبة الألفاظ المقترضة 10 بالمائة يمكن التحدث على الأقل عن لغتين مختلفتين داخل لغة واحدة ".[22]

لعل السيد عبد النور يتجاهل عن قصد ما ورد على لسان محند آكلي حدادو الذي يعد بحق احد اهم الباحثين في مجال الدراسات اللغوية الأمازيغية عندما أكّد "عدم وجود ثقافة استطاعت ان تتطور بمعزل عن الثقافات الأخرى، فالاقتراض اللساني ظاهرة عالمية؛ إذ ومن خلال تبادل التقنيات والخبرات بين الشعوب ينتج عن ذلك تبادل للكلمات... وقد اقترضت اللغة العربية آلاف المفردات من السريانية والآرامية والعبرية والفارسية والتركية وفي العصر الحديث من اللغات الأوروبية خاصة الفرنسية والإنجليزية...ويشار أن نسبة الكلمات المقترضة من طرف اللغة الإنجليزية بـ 25 بالمائة على الأقل ... اما اللغة الإسبانية تضم اربعة آلاف مفردة أصلها عربي.

كما أن جميع اللغات اقترضت من اللغات المجاورة لها، أحيانا بشكل مكثف (مثل الإنجليزية التي اقترضت من الفرنسية جزءا كبيرا من مفرداتها) وكان لهذا الاقتراض من الضخامة ما جعلنا نشاهد اليوم ردود أفعال قومية لغوية. وهكذا تنامى في مقاطعة كيبك (Québec) وبدرجة اقل في فرنسا تيار رسمي لمناهضة الاقتراضات.

فلا يجب اعتبار الاقتراض يشكل الاقتراض تهديدا حقيقيا للغة المستقبلة إلا في حالة عدم اندماجها فيها وتشكيلها أجساما غريبة بداخلها، وذلك بمحافظتها على أشكالها وعلاماتها النحوية الأصلية. على خلاف أولئك المنادين إلى " تطهير" اللهجات الأمازيغية من المفردات الأجنبية، مستهدفين اللغة العربية في المقام الأول.

ب – المستوى الفونولوجي:

يتفق كل الباحثين في ميدان اللهجات البربرية على أن الفتوحات الإسلامية ومنذ القرن الحادي عشر قد ساهمت أيما مساهمة في إدراج عدد معتبر من الفونيمات العربية في كل اللهجات البربرية الشمالية بواسطة الاستعارات المعجمية. وهكذا "دخل عدد معين من الفونيمات العربية إلى كل اللهجات البربرية الشمالية واندمجت فيها عن طريق الاستعارات المعجمية. من المحتمل أن تكون بعض الفونيمات العربية غير المثلة في اللهجات البربرية قد خضعت خلال القرون الأولى التي تلت الفتوحات العربية للتغيير و التكييف لتتلاءم مع النظام الصوتي – الفونولوجي للأمازيغية ، إذ أن الأصوات الحلقية [ح] ، [ع] و الحنجرية لها والصوامت العربية المفخّمة مثل [ص]...الخ قد حوّرت بشكل يسمح لها بالاندماج في النظام الصوتي الأمازيغي، وبالإمكان ملاحظة هذه الظاهرة بشكل واضح في بعض الاستعارات القديمة من العربية إلى الأمازيغية مثل: "سلام" في العربية تحولت إلى "يوزام"، "سلى" في العربية تحولت إلى "زّال" ، "الشهادة" إلى "شّادة" .

فانجرّ عن الاتصال مع اللغة العربية صوتمة بعض الأصوات التي لم تكن في مرحلة سابقة تعدو أن تكون متغيرات سياقية أو جهوية، و قد كان هذا هو حال الأصوات المهموسة مثل[ط] ،[ص] ، [خ] ، [ق] ، التي لم تكن في الأصل سوى تجسيدات سياقية أو جهوية مهموسة للفونيمات [ض] ،[ز] المفخم ، و [ر] ، لكن استعارة وحدات جذرية عربية تحتوي على هذه الأصوات المهموس قد أدخلت للبربرية بعض التواردات غير المكيفة مما أعطاها وضعا فونولوجيا خاصا بها.[23]

3) المستوى النحوي – التركيبي:

إن التأثيرات في هذا المجالات غير ذات أهمية، وهي على أية حال أقل عمقا، حيث تظهر بالخصوص في نماذج الروابط النحوية إلى غرار أدوات الربط المختلفة. ففي كل اللهجات الشمالية، أغلبية روابط التبعية الخاصة بالجمل تم اقتراضها من اللغة العربية، في حين أن حروف الجر قاومت بشكل أفضل. على الأرجح لأن تكوين هذه الأخيرة قديم جدا (فضلا على كون أغلبيتها مشتركة لكامل المجال الأمازيغي)، في حين أن نظام روابط التبعية الخاصة بالجمل وروابط الجمل مكتسبة حديثا.

اما في ما يخص العلامات الإلزامية للاسم: "كان للافتراضات المعجمية التي كانت في أغلبها كثيفة اثر محسوس على نظام العلامات الاسمية، حيث ان اغلب الأسماء المقترضة من اللغة العربية لم تعد تُمرَّغ ، حيث حافظت على مورفولوجيتها الأصلية على غرار: اداة التعريف العربية المسكوكة (figé) ، الجمع بشكله العربي ، اختفاء العلامات البربرية الخاصة بالجنس (بالتانيث و التذكير) فضلا عن الحال" .[24]

ونورد على ذلك بعض الأمثلة من كتاب "Grammaire berbère" لمؤلفه ميشال كيتوت(Michel Quitout) [25] :

جمع الأسماء المذكرة المقترضة من العربية ثلاث انواع:

أ – جمع امازيغي لمفردات ممرَّغة ، مثل :

أَحزَارْ	إجزَارَنْ	جزار (جزارين)
أَكتَابْ	إكتابين	كاتب (كتاب)

ب – جمع امازيغي لمفردات حافظت على شكلها العربي كما يدل عليه الأداة "ل" التي هي في الأصل اداة التعريف في العربية "ال"، مثل:

لمجمَرْ	إيمجمرنْ	موقد جمر
لوكيلْ	إيوكيلنْ	المحامي

ج – جمع حافظ على شكله العربي لمفردات حافظت هي الأخرى على شكلها العربي:

لكتابْ	لكتوبْ	كتاب
سوقْ	لسواق	السوق

اما في ما يخص الإنتاجية الاشتقاقية والنظام المعجمي يقول سالم شاكر ان " اللغة البربرية، مثلها مثل كل اللغات السامية الحامية، هي لغات تشتق انطلاقا من الجذر والوزن ، حيث ان اي جذر فعلي قابل مبدئيا توليد عدة أفعال مشتقة واي صيغة فعلية سواء كانت بسيطة او

مشتقة تزودنا بدورها بالعديد من الأسماء المشتقة (اسم فعل، اسم فاعل، اسم آلة...)... وكلما كان لجوء لهجة ما إلى الاقتراض أكبر كانت قدرتها على استغلال إمكاناتها الداخلية في التكوين المعجمي اقل." [26]

الخاتمة:

من خلال ما سبق ، نخلص إلى النتائج التالية:

- تأثر اللهجات الأمازيغية باللغة العربية بصفة دائمة سببه اعتناق الأمازيغ للإسلام عن قناعة بحيث لم تبق في البلاد أي أقلية غير إسلامية.
- لعبت الهجرة الهلالية دورا هاما في تعريب أجزاء هامة من شمال إفريقيا؛ وهذا ما لم يحدث في مناطق أخرى من العالم الإسلامي.
- انتشرت اللغة العربية في كثير من أنحاء العالم بعد مجيء الإسلام واحتكت ثقافات وحضارات كثيرة مما أعطاها ميزة ضخمة وقيمة كبيرة وبمرور الزمن.
- ساعدت القرابة اللغوية الموجودة بين اللهجات الأمازيغية ذات الأصول الحامية – السامية واللغة العربية السامية في عملية الاحتكاك. فالتشابهات والموازاة البنيوية الواضحة بين اللغتين تكون قد سهلت من عملية التعريب.
- لم تكن اللهجات الأمازيغية إبان الفتوحات الإسلامية قادرة على الوقوف امام لغة العرب الفاتحين، فقد كانت لغة شفوية أكثر منها كتابية ولم تتخط في مستوى الكتابة المراحل الأولى من نشأتها.
- لم يفتسر الاقتراض الكثيف للألفاظ العربية من قبل كل اللهجات الأمازيغية على المفاهيم الجديدة على غرار المفاهيم الدينية للإسلام، لكن تعداه ليشمل مجالات أخرى. الدينية والاقتصادية والفكرية.
- تمتلك اللهجات الأمازيغية خاصية "تمزيغ" المفردات العربية التي تقترضها .
- ساهمت اللغة العربية في إدراج عدد معتبر من الفونيمات العربية في كل اللهجات الأمازيغية الشمالية بواسطة الاستعارات المعجمية.

- إن التأثيرات على المستوى المعجمي التركيبي لم يكن بمستوى التأثير المعجمي حيث تقتصر بالخصوص في نماذج الروابط النحوية إلى غرار أدوات الربط المختلفة.

الهوامش:

[1] Défense et illustration de la langue berbère, suivi de : Apport des berbères à la civilisation universelle, Mohand Akli Haddadou, Alger : 2002, Edition INAS. P. 10.

[2] النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العهد التركي، أحمد مختار عمر، طرابلس، 1971، منشورات الجامعة الليبية ، كلية التربية ، ص 91.

[3] أطلس تاريخ الإسلام، حسين مؤنس ، ط 1. القاهرة، 1987 ، الزهراء للإعلام العربية ، ص 178 .

[4] ينظر: ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الأمازيغيين، محمد شفيق، – ص45

http://www.tawalt.com/wp-content/books/33_shafeeq_a.pdf ، منشور بتاريخ ، 2012/05/13.

[5] أطلس تاريخ الإسلام ، حسين مؤنس ، ص 178 .

[6] معالم تاريخ المغرب والأندلس، حسين مؤنس، القاهرة، 2004 ، دار الرشاد، ص167 .

[7] النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العهد التركي ، أحمد مختار عمر ، ص ص 63 -64.

[8] البربر، عثمان الكعاك ، منشورات تاوالت ، أعده للنشر تامغناست ص 79 .
http://www.tawalt.com/wp-content/books/al-berber/al_berber_2.pdf ، منشور بتاريخ، 2012/09/25.

[9] النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العهد التركي، أحمد مختار عمر، ص 177.

[10] الأمازيغ وقضيتهم في بلاد المغرب المعاصر، سالم شاكر، تر: حبيب الله منصوري، الجزائر، 2003، دار القصبة للنشر، ص 18.

[11] Grammaire du berbère contemporain (kabyle) 1- morphologie, Kamal Nait - ZERRAD, Alger : 1995, ENAG Editions. P.19.

[12] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب ، ط 3. القاهرة ، 1997، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع ، ص 177 .

[13] الأمازيغ و قضيتهم في بلاد المغرب المعاصر، سالم شاكر، ص 17 .

[14] التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، نازلي معوض أحمد، ط1، بيروت، 1986، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 20.

[15] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، ص 177 .

[16] Grammaire berbère (rifain, tamazight, chleuh, kabyle), Michel Quitout, Paris : 1997, L'harmattan. P. 28.

[17] Manuel de linguistique berbère, Syntaxe et diachronie, Salem Chaker, Tome II, ENAG- Editions, Alger, 1996, P .118.

[18] Essai sur la littérature des berbères, Henri Basset, Paris : 2001, Ibis Press, P. 26.

[19] الأمازيغ عبر التاريخ، نظرة موجزة في الأصول و الهوية، محمد العربي عفون . ط1 . الرباط : 2010، التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ص 31 -32.

[20] تاريخ المغرب العربي، محمد علي دبوز، الجزء الأول ، كاليفورنيا : 2010 ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، ص 366 .

[21] Grammaire berbère (rifain ,tamazight,chleuh , kabyle) Michel Quitout ,, P. 28.

[22] Dictionnaire abrégé du vocabulaire Redressé de la langue berbère, Abdenour Abdesselam, Alger : 2001,ENAG / Editions . P. 5.

[23] Manuel de linguistique berbère– II Syntaxe et diachronie, Salem Chaker, P . 118.

24 Ibid., P .121.

[25] Grammaire berbère (rifain ,tamazight,chleuh , kabyle) Michel Quitout,.PP. 41-42.

[26] Manuel de linguistique berbère, Syntaxe et diachronie, Salem Chaker, P .121.